﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَتَعَبَّدَهُ بِصَوْنِ اللِّسَانِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّحِيمُ الرَّحْمَنُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى الْأَنَامِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾(١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: خُطْبَتُنَا الْيَوْمَ عَنْ خُلُقٍ ذَمِيمٍ، وَذَنْبٍ عَظِيمٍ، يُفْسِدُ الْقُلُوبَ، وَيُوغِرُ الصُّدُورَ، وَيُطْفِئُ نُورَ الْمَحَبَّةِ بَيْنَ النَّاسِ. إِنَّهَا الْغِيبَةُ؛ دَاءٌ مُجْتَمَعِيٌّ خَطِيرٌ، انْتَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَعَبْرَ وَسَائِلِ تَوَاصُلِهِمْ، فَلَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا يَتَنَزَّهُ عَنْهُ لِسَانٌ. إِنَّهَا الْغِيبَةُ؛ كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَعَيْبٌ مِنْ أَشْنَعِ الْعُيُوبِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **مَا الْتَقَمَ أَحَدٌ لُقْمَةً شَرًّا مِن اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ**(٢). كَيْفَ لَا؟ وَفِيهَا تَعَدٍّ جَسِيمٌ عَلَى أَقْدَسِ مَا يَمْلِكُهُ الْإِنْسَانُ؛ كَرَامَتِهِ، وَسُمْعَتِهِ، وَعِرْضِهِ. إِنَّهَا الْغِيبَةُ؛ آفَةٌ تَفْتَحُ مَنْظُومَةً مِنَ الْأَدْوَاءِ الْمُدَمِّرَةِ؛ فَهِيَ بَابٌ لِلتَّشْهِيرِ وَالنَّمِيمَةِ، وَمَنْفَذٌ لِلْكَرَاهِيَةِ وَالْعَدَاوَةِ، وَمَنْبَعٌ لِلشَّائِعَاتِ الْكَاذِبَةِ.

فَمَا الْغِيبَةُ **يَا عِبَادَ اللَّهِ**؟ إِنَّ الْغِيبَةَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[٣] أَيْ: رَمَيْتَهُ بِالْبَاطِلِ وَالْبُهْتَانِ[٤]. ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٥]، فَأَنْتُمْ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تَقَعُوا فِيمَا حَذَّرَكُمْ مِنْهُ رَبُّكُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[٦]، عِيَاذًا بِاللَّهِ؛ مَا أَبْشَعَهُ مِنْ فِعْلٍ، وَمَا أَشْنَعَهُ مِنْ جُرْمٍ؛ أَنْ يَأْكُلَ الْإِنْسَانُ لَحْمَ أَخِيهِ، بِأَنْ يَغْتَابَهُ وَيَقَعَ فِيهِ.

عِبَادَ اللَّهِ: مَا أَشَدَّ خَطَرَ الْغِيبَةِ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْأُسَرِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، فَكَمْ مِنْ بُيُوتٍ تَهَدَّمَتْ، وَأُسَرٍ تَشَتَّتَتْ، بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالَهَا زَوْجٌ عَنْ زَوْجَتِهِ فِي غِيَابِهَا، أَوِ اغْتِيَابِ زَوْجَةٍ لِزَوْجِهَا أَمَامَ أَهْلِهَا! وَكَمْ مِنْ أَرْحَامٍ قُطِعَتْ، وَعَلَاقَاتٍ أُنْهِيَتْ، بِسَبَبِ الْغِيبَةِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَرْحَامِ! وَكَمْ مِنْ بِيئَةِ عَمَلٍ انْهَارَتْ أَرْكَانُهَا، وَتَفَكَّكَتْ رَوَابِطُهَا، بِسَبَبِ كَلِمَاتٍ جَارِحَةٍ، يَتَنَاقَلُهَا الْمُوَظَّفُونَ فِي الْمَجَالِسِ الْمُغْلَقَةِ، عَنْ زُمَلَائِهِمْ أَوْ مَسْؤُولِيهِمْ! حَتَّى تُصْبِحَ الْغِيبَةُ فَاكِهَةً مُفَضَّلَةً، وَعَادَةً مُتَجَذِّرَةً، وَآفَةً مُسْتَحْكِمَةً، فَيَحِلَّ التَّنَافُرُ بَدَلَ التَّعَاوُنِ، وَتَنْهَارَ رُوحُ الْفَرِيقِ، وَتَخْتَلَّ بِيئَةُ الْعَمَلِ.

فَاللَّهُمَّ طَهِّرْ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الْغِيبَةِ، وَقُلُوبَنَا مِنَ الْغِلِّ، وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ، وَطَاعَةِ مِنْ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِ فِي قَوْلِكَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(٧).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ،

فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اتَّبَعَ هَدْيَهُ مِنْ بَعْدِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا تَتَّقُونَ بِهِ الْغِيبَةَ؟ رَاقِبُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاسْتَحْضِرُوا قَوْلَ بَارِئِكُمْ: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[٨]، فَرُبَّ كَلِمَةِ عَيْبٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، لَا يُعِيرُهَا الْمَرْءُ اهْتِمَامًا، تَكُونُ عَاقِبَتُهَا وَبَالًا وَخُسْرَانًا، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لِإِحْدَى نِسَائِهِ، حِينَ أَشَارَتْ إِلَى قِصَرِ أُخْتٍ لَهَا: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»[٩].

وَإِنَّ مِمَّا تُتَّقَى بِهِ الْغِيبَةُ: أَنْ يَتَذَكَّرَ الْمُؤْمِنُ أَلِيمَ أَثَرِهَا، حِينَ تَصِلُ إِلَى مَسَامِعِ صَاحِبِهَا، كَمْ تَجْرَحُ قَلْبَهُ، وَتُؤْلِمُ نَفْسَهُ، وَتُؤَثِّرُ عَلَى حَيَاتِهِ! ثُمَّ لِيَسْأَلْ مَنْ يَغْتَابُ الْآخَرِينَ نَفْسَهُ: هَلْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ مَنْ يَغْتَابُهُ؟ فَإِنْ كَانَ الْجَوَابُ لَا، فَلِمَ يَرْضَى لِأَخِيهِ مَا لَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **اذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ، وَدَعْ مِنْهُ مَا تُحِبُّ أَنْ يَدَعَ مِنْكَ**[١٠]. وَإِذَا كُنْتَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ غِيبَةٌ، فَلَا تُشَارِكِ الْمُغْتَابَ وَلَا تُجَارِهِ، أَلَمْ يَبْلُغْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ[١١]:

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ دَنِيئًا ** فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاءُ

بَلِ ادْفَعْ عَنْ عِرْضِ أَخِيكَ، فَإِنَّ «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١٢)، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَإِنْ وَقَعَتْ مِنْكَ غِيبَةٌ لِأَخِيكَ، فَوَصَلَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ، فَاطْلُبِ الْعَفْوَ مِنْهُ وَالْمُسَامَحَةَ، وَإِلَّا فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ تَعَالَى لِنَفْسِكَ وَلَهُ، وَاذْكُرْهُ بِالْخَيْرِ عَلَى قَدْرِ مَا اغْتَبْتَهُ. أَلَا فَلْنُعَاهِدِ اللَّهَ مِنَ الْآنَ؛ عَلَى تَرْكِ هَذِهِ الصِّفَةِ الذَّمِيمَةِ، مُسْتَغْفِرِينَ رَبَّنَا، عَازِمِينَ عَلَى حِفْظِ أَلْسِنَتِنَا، وَلْنُعَلِّمْ ذَلِكَ أَهْلَنَا وَأَوْلَادَنَا، فَفِيهِ رِضَا رَبِّنَا، وَصَوْنُ مُجْتَمَعِنَا.

هَذَا وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِكَ مُؤْمِنِينَ، وَلَكَ عَابِدِينَ، وَإِلَيْكَ مُنِيبِينَ، وَلِلْغِيبَةِ مُجْتَنِبِينَ، وَبِوَالِدِينَا بَارِّينَ، وَارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَدِمْ عَلَى دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الِاسْتِقْرَارَ، وَالرُّقِيَّ وَالِازْدِهَارَ، وَأَتِمَّ اللَّهُمَّ الْعَافِيَةَ عَلَيْنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَرْزَاقِنَا، وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ رَئِيسَ الدَّوْلَةِ، الشَّيْخَ مُحَمَّد بن زَايد، وَنُوَّابَهُ وَإِخْوَانَهُ حُكَّامَ الْإِمَارَاتِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ الْأَمِينَ؛ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ.

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الشَّيْخَ زَايد، وَالشَّيْخَ رَاشِد، وَالْقَادَةَ الْمُؤَسِّسِينَ، وَأَدْخِلْهُمْ بِفَضْلِكَ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ، وَاشْمَلْ شُهَدَاءَ الْوَطَنِ بِرَحْمَتِكَ

وَغُفْرَانِكَ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ: الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١٣).

عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

---

(١) المائدة: ٨٨.
(٢) الأدب المفرد: ٧٣٤.
(٣) مسلم: ٢٥٨٩.
(٤) شرح النووي على مسلم: ١٤٢/١٦.
(٥) المائدة: ١٠٠.
(٦) الحجرات: ١٢.
(٧) النساء: ٥٩.
(٨) ق: ١٨.
(٩) أبو داود: ٤٨٧٥.
(١٠) العقد الفريد: ١٨٤/٢.
(١١) أبو تمام.
(١٢) الترمذي: ١٩٣١.
(١٣) البقرة: ٢٠١.